أمير مخول*

النفوذ الإسرائيلي في إفريقيا
من «شدّ الحزام» إلى «الحزام والطريق»

مدخل شخصي

في ربيع العام ٢٠٠٠ وضمن التحضيرات التي استغرقت أكثر من عام للمؤتمر الدولي ضد العنصرية (ديربان ٢٠٠١) واستعدادا لمؤتمر التواصل "فلسطينيو الـ ٤٨ يطرقون أبواب العالم العربي" (القاهرة ٢٠٠٢)، زرت الأستاذ محمد فائق رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان في حينه، وحاليا رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان في مصر. وقد لفتت نظري أسماء الشوارع في المنطقة التي يسكن فيها، وكلّها أسماء رموز حركات التحرر الوطني وقادة دول عدم الانحياز، كما علمت أنه في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وإضافة إلى كونه وزيرا، فقد جرى اعتماده مسؤولا عن العلاقات مع الثورات في إفريقيا، لأكتشف عظمة الدور الذي كان، وأين كان الوضع العربي وأين هو اليوم. كيف حصل هذا الانقلاب من قارة تدعم مصر كدولة عظمى إقليمية وإفريقية سندا للشعوب، إلى دولة تواجه مسعى قويا لاستنزافها وتهميشها وإلغاء دورها، لتحتل مكانها إسرائيل، وكيف تخلّت مصر عن إفريقيا، وإفريقيا عن مصر عدة عقود منذ اتفاقيات كامب ديفيد وحتى العام ٢٠١٣، حين بدأ النظام المصري يتدارك أخطار هذا التباعد على الأمن القومي المصري وعلى الأمن المائي بالذات، ومن ثم قررت مصر العودة إلى المشهد في رئاستها الدورية للاتحاد الإفريقي وقرارها الاندماج في الجهد الإفريقي لتحقيق أهداف أجندة إفريقيا ٢٠٦٣.[١] لكن السؤال

* مدير "اتحاد الجمعيات الأهلية العربية- إتجاه" سابقًا

الأكثر إلحاحا هو: كيف نجحت السياسة الإسرائيلية، وإلى أين وجهتها في عالم متغير ويشهد تحولات كبرى في السياسة الدولية والتجارة العالمية والتنافس على الأسواق؟

تطرقت في مقال سابق، في موقع آخر، عن علاقات إسرائيل -إفريقيا[٢] إلى الرؤية الإسرائيلية لهذه العلاقات، وطبيعتها بنظرة راهنة مع لمحة تاريخية، وسلّطت الضوء على جوانب من إستراتيجية هذا البلد تجاه منطقة القرن الإفريقي وصراعات وادي النيل.

وإذ سأقوم بالتطرق إلى ما ذكر، فإنني أسعى في هذا المقال للنظر إلى التحولات الجارية في هذه العلاقات من وجهات النظر العربية (وحصريا المصرية) والإسرائيلية والإفريقية، والتطورات الحاصلة في طبيعة التدخل الإسرائيلي، أو ما يمكن تسميته المرحلة الرابعة من العلاقات مع إفريقيا، وعلاقة ذلك بالوضع العربي، وبالتحولات الإفريقية الكبيرة في سياق أجندة ٢٠٦٣، وكذلك بالتحولات العالمية في طبيعة الأسواق والتجارة العالمية وبالذات المشروع الصيني الكوني "الحزام والطريق" والذي من شأنه أن يغير طبيعة التجارة العالمية وبنيتها.

لمحة تاريخية - مدّ وجزر وتأثر بالوضع العربي

يعود الاهتمام الصهيوني بإفريقيا إلى بداية القرن العشرين - عام ١٩٠٣- حين طرح وزير المستعمرات البريطاني تشامبرلين، على ثيودورهرتسل توطين يهود أوروبا في أوغندة/ كينيا. وإذ حظي بأغلبية المؤتمر الصهيوني في البداية، تم في المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥) حسم رفضه نهائيا، واعتماد فلسطين وجهة المشروع. إلا أن ذلك لم يمنع مئات العائلات اليهودية الغنية في أوروبا من الهجرة إلى غرب كينيا من باب الاستثمار في المشروع المذكور، وقد استقرت ثلاثون عائلة يهودية في نيروبي، اقتطعت لها الحكومة البريطانية في ذلك الوقت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية. واليوم هناك شركات (إسرائيلية) عديدة تعمل هناك، بالإضافة إلى عدد كبير من المستشارين والخبراء العسكريين، الذين يعملون في صفوف القوات الكينية.[٣] نشأت بمرور الوقت في كينيا جالية يهودية غنية ذات نفوذ اقتصادي وسياسي وساندت كما الجالية في جنوب إفريقيا المشروع الصهيوني في فلسطين. وتعتبر كينيا اليوم بوابة إسرائيل التجارية في إفريقيا وسندا في الأسواق العالمية، مقابل اعتبار أثيوبيا البوابة السياسية لإسرائيل في إفريقيا. يذكر في هذا السياق أن شركة «إفريقيا إسرائيل" أسستها الجالية اليهودية في جنوب إفريقيا عام ١٩٣٤ وعملت في بناء الإنشاءات والإسكان لليهود في فلسطين وبالذات في إعمار تل أبيب.

انطلقت إسرائيل عند نشأتها من حاجتها إلى الاعتراف الدولي وكسب الشرعية، ومن فرضية أن إفريقيا هي قارة كبرى عدديا وأنها تحيط بأكثر الدول العربية قوة وعدائية لها، وأن التقاء الوفرة الطبيعية الإفريقية والتكنولوجيا الإسرائيلية من شأنه أن يحل مشكلة الجوع في القارة، ويضمن المصالح الحيوية لإسرائيل، وكانت هذه المصالح هي الأساس.

يعتمد باحثون إسرائيليون اسم «شهر العسل الدبلوماسي بين إسرائيل الفتية والقارة المنعتقة من الاستعمار»، في اشارة منهم إلى أن إسرائيل قد بذلت كل ما في وسعها لتقديم كل ما لديها من قدرات ونهضة للأفارقة، كما كانت إسرائيل بحاجة إلى الاعتراف وإلى اختراق طوق الحصار العربي.

نشر الكثير من الأبحاث والتحليلات الإسرائيلية عن العلاقات مع إفريقيا، لكن المقال سوف يعتمد بالأساس على كل من هيرمن بوطيم[٤]، ويارون سلمان،[٥] وحجاي أرليخ وأرييه عوديد.[٦] هناك تقارب في التحليلات وتوصيف مراحل العلاقات والأسس التي بنيت عليها. وإذ يتحدث بوطيم عن ثلاث مراحل للعلاقات الإسرائيلية الإفريقية، بالإمكان إضافة مرحلة رابعة وهي المرحلة الراهنة وتشمل بعدين؛ الجانب الجيوإستراتيجي والجانب الأكثر حسما في هذه العلاقات هو الدور الذي تنيطه الولايات المتحدة بإسرائيل مع إعادة تنظيم أدوات النفوذ الأميركي في العالم، وكذلك الضغط الأميركي على الدول الإفريقية واشتراط التعاون معها بعلاقات الأخيرة مع إسرائيل.

يرى هيرمن بوطيم ثلاث مراحل للعلاقات الإسرائيلية الإفريقية، وهي ما بعد الاستعمار – وقد أطلق عليها حلف الضحايا الاخلاقي، والمرحلة الثانية هي عدوان ١٩٦٧ ومن ثم حرب ١٩٧٣ والتراجع في العلاقات لحد قطيعتها لصالح دعم الموقف العربي، حيث نظرت إفريقيا إلى إسرائيل كدولة عدوانية تحتل أراضي الغير بما فيها مناطق إفريقية (شبه جزيرة سيناء)، بينما المرحلة الثالثة هي نشوء مصالح عسكرية وأمنية

لم يكن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وبالذات بعد حرب تشرين ١٩٧٣ والذي بدا شاملا، محكما، صحيح أن إفريقيا انضمت للمقاطعة بسبب السياسات والقيم المتوارثة منذ إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣، كما أنها تأثرت بقوة الموقف العربي في حرب٧٣ وساندته في فرض المقاطعة وحصار النفط، لكن وتحت ستار قطع العلاقات الدبلوماسية جرى الكثير من التعاون مع إسرائيل.

مكشوفة في الثمانينيات تطورت وتعززت حتى اليوم.

بينما يصف أرييه عوديد مرحل العلاقات بأنها بدأت «بشهر عسل جميل سرعان ما تبدّد وتدهورت هذه العلاقات لتصل حالة قطيعة وحصريا في العقد الثالث لإسرائيل ما بين ١٩٦٧ وعدوان حزيران واحتلال المناطق الفلسطينية والعربية بما فيها سيناء التي تعتبر إفريقية أيضا، وبين العام ١٩٧٨ واتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل برعاية أميركية، واعتماد الرئيس المصري أنور السادات مفهوم «٩٩٪ من أوراق اللعبة بأيدي الولايات المتحدة»، متخليا عن الدعم الإفريقي التاريخي للعرب وقضيتهم المركزية فلسطين. وفيما بعد عادت وتوثقت «على قاعدة نضوج العلاقة والنظرة القائمة على تعلم العبر» والاستفادة من دروس القطيعة.

وإذ يؤكد عوفر يسرائيلي الأبعاد الثلاثة للعلاقات مع إفريقيا، وهي «الأخلاقي» والاقتصادي والديبلوماسي، ففي مقاله الذي نشرته صحيفة «يسرائيل هيوم» ٢٠١٦/٧/٤ يرى أن نفوذ إسرائيل المتعاظم في إفريقيا لا ينحصر فيما ذكر، «بل تسعى إلى ترسيخ مكانة دولية تساعدها في تعميقه واتساع نطاقه، وملاءمة نفسها لمتطلبات العلاقات الدولية التجارية والاقتصادية والأمنية والسياسية، ويرى بجولة نتنياهو الإفريقية عام ٢٠١٦ تطويرا للوضعية الجيو إستراتيجية لإسرائيل»، ودعا إلى ترسيخ هذا المنحى.

لكن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وبالذات بعد حرب تشرين ١٩٧٣ والذي بدا شاملا لم يكن محكما. صحيح أن إفريقيا انضمت للمقاطعة بسبب السياسات والقيم المتوارثة منذ إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣، كما أنها تأثرت بقوة الموقف العربي في حرب٧٣ وساندته في فرض المقاطعة وحصار النفط، لكن وتحت ستار قطع العلاقات الدبلوماسية جرى الكثير من التعاون مع إسرائيل سواء الأمني أم التجاري والاقتصادي. وهذا ما حث إسرائيل لاحقا إلى الامتناع عن فتح عدد كبير من السفارات في كل بلد، وذلك لاحتياجات التستير على العلاقات الأمنية.[٧]

فعلى سبيل المثال، دعمت إسرائيل زائير في العام ١٩٧٥ في حربها ضد الحركة الشعبية لتحرير أنغولا (امبلا)، وشكل هذا الدعم العسكري نقطة تحوّل، إذ درجت إسرائيل إلى حينه على تزويد أصدقائها من أنظمة ومعارضة بأسلحة كانت غنمتها في حروبها مع الجيوش العربية، وهي في الغالب سوفييتية الصنع، وذلك كي تموّه المصدر وكي لا تحرج من تدعمهم كما حدث في دعمها المكثف للحركة الشعبية لتحرير السودان (الجنوب) وبناء جيش جنوب السودان وتدريبه وحتى مشاركة عسكريين إسرائيليين من مجندي الموساد في القتال إلى جانبه. بينما في العام ١٩٧٥ زودت زائير بأسلحة وتجهيزات عسكرية إسرائيلية الصنع وقامت بتدريب قواتها دون الحاجة إلى المناورة.

شكّلت المرحلة الأولى من العلاقات، والتي امتدت من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٦٧، من وجهة النظر الإسرائيلية، مرحلة البناء والتأسيس من منظور جيو سياسي، باعتبار إفريقيا الشرقية تشرف على البحر الأحمر وهو منطقة مصالح حيوية عليا، وباعتبار إفريقيا مرشحة لتشكيل شبكة علاقات ثنائية مع إسرائيل، لكن فيها إيثار لإسرائيل؛ اي إن إسرائيل تعتمد إستراتيجية العلاقات الثنائية مع البلدان الإفريقية المحاذية لشمال إفريقيا العربي المسلم، ضمن مخطط شد الحزام أو تحالف الأطراف (الضواحي) -كما أطلق عليه بن غوريون في النصف الأول من الخمسينيات- والهادف في حينه إلى تشكيل طوق غير عربي وغير

مسلم يحكم قبضته من الجنوب على الطوق العربي المفروض على إسرائيل والذي تقوده مصر، بهدف استنزافها والسعي على المدى البعيد لتدميرها من الداخل بإحداث انقسامات وحركات انفصالية وفرض حرب استنزاف متعددة الجبهات وطويلة الأمد لا تدفع إسرائيل ثمنها.

منذ العام ١٩٥٣، حسم بن غوريون النقاش حول الأولويات، واعتبر أن الحليف الأهم لإسرائيل وأمنها القومي هو أثيوبيا بزعامة الإمبراطور هيلا سيلاسي، فهي الدولة الأكبر اقتصاديا والأقوى عسكريا في شرق إفريقيا وهي تشرف على البحر الأحمر، كما استغلت البعد الديني في تسويغ الترابط «الأخلاقي» كما وصفه هيرمان بوطيم.

منذ نشأتها، قامت إسرائيل بتحديد خارطة مصالحها والمناطق الحيوية العالمية والإقليمية، وقد حسم بن غوريون النقاش على إفريقيا في العام ١٩٥٣، إذ رأى بالقرن الإفريقي المنطقة الأكثر أهمية لأمن إسرائيل وبقائها، ورأى بأثيوبيا عاصمة القارة الإفريقية والمركز السياسي الملائم لأهداف الدولة الناشئة، وقد نظر إليها بن غوريون كجزء من «ضواحي أو أطراف الشرق الأوسط»، وشكلت أثيوبيا أرض منبع النيل الذي يشكل شريان الحياة بالنسبة إلى مصر المعنية بها إسرائيل، وكذلك مرشحة مناسبة لقاعدة مؤيدة لإسرائيل.

شكلت إسرائيل لاحقا المستفيد الأكبر من اتفاقيات كامب ديفيد مع مصر ١٩٧٨ في المدى الإفريقي، إذ استطاعت رسميا المجاهرة بدورها وفي إعادة توثيق العلاقات مع القارة، وبعد التخلص من الطوق العربي وتدمير بنيته، وحاليا تعزز نفوذها في إفريقيا من خلال علاقات التطبيع مع دول عربية، وبالذات مع الإمارات، وعبر مضاعفة قوة الأثر سواء على مستوى القارة أم الهيمنة على البحر الأحمر وإنشاء طريق بديل لقناة السويس، والاستعداد للتحولات الجارية في بنية التجارة العالمية والمشروع الإفريقي الطموح «أجندة إفريقيا ٢٠٦٣». والمشروع الصيني الكوني الأكبر «الحزام والطريق»، وسوف يتم التطرق إلى هذه المشاريع لاحقا.

مركّب آخر في إستراتيجيتها كان فك الارتباط بين التهديدات الخارجية والتهديدات الداخلية أو المحلية على حدودها الأمنية. وهناك مسار يشير إلى أن حدود المصالح أو المناطق الحيوية بالنسبة لإسرائيل تتسع وتبتعد باستمرار عن حدود الدولة، وهذا دليل على نفوذها المؤسس على قدراتها وعلى الهيمنة الأميركية وعلى ملاءمة نفسها للتطورات التكنولوجية العالية التطور وأثرها على الأسواق والتجارة العالمية ومناطق النفوذ. لقد قامت إسرائيل عمليا بعولمة نفوذها.

وإذ كانت الدبلوماسية الإفريقية الجماعية قد شدت في السابق باتجاه إفشال السياسات الإسرائيلية، إذ كان أيضا نفوذ سوفييتي وكوبي وكانت مساعدات عربية متعددة الجوانب، كان مدخل النفوذ الإسرائيلي حصريا في العلاقات الثنائية بعيدا عن المواقف الإفريقية الجماعية ومنظومتها، ولذلك رأت في الصراعات العرقية وبين الدول بوابةً لها للتدخل وللتحول إلى لاعب مركزي. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ربطت إسرائيل علاقات وثيقة مع القوى في جنوب السودان وساندت سياسيا وعسكريا انفصال الجنوب، في وقت كانت لها علاقات وثيقة مع النظام المركزي في الخرطوم.[٨] في حين تكرر إسرائيل مطالبتها بأن يجري قبولها كعضو مراقب في الاتحاد الإفريقي (وريث منظمة الوحدة الإفريقية) فهي تريد أن تستفيد من ذلك ومن الدعم الديبلوماسي الإفريقي، وليس المقصود بالضرورة أن يصوت لها ممثلو البلدان الإفريقية في الأمم المتحدة، وإنما المسعى هو أن يمتنعوا أو حتى يتغيّبوا عن التصويت في القرارات التي تعنيها. وعززت إسرائيل علاقاتها مع الدول الإفريقية الأعضاء في مجلس الأمن أو في الجمعية العمومية وحققت إنجازين جديرين ضمن اعتباراتها، وهما إسقاط المشروع الأردني ٢٠١٦ بامتناع رواندا عن تأييد طرحه على مجلس الأمن والداعي لإقامة دولة فلسطينية، ورفض الأمم المتحدة طلب قبول فلسطين في هيئة البريد العالمية، وهي هيئة ليست ذات شأن كبير عالميا، لكن المسعى كان معنويا ورادعا. كذلك كان التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة حول وضع القدس، كانون الأول ٢٠١٨، في أعقاب اعتراف الرئيس الأميركي ترامب بأنها عاصمة لإسرائيل كاشفًا؛ حيث أظهر «ردود فعل متباينة» مِن قِبَل الدول الإفريقية.[٩]

العقد الأخير: العودة المتسارعة إلى إفريقيا

شهد العقد الأخير نشاطا إسرائيليا غير معهود في إفريقيا ،وتصدّرها المشهد في العمل الدبوماسي، بما فيها لقاءات وجولات شملت عشرات الدول الإفريقية وعلى أعلى المستويات. يقول الخبير في الشأن الإفريقي عوفر

يسرائيلي، إن جولة نتنياهو الإفريقية عام ٢٠١٦ كانت ذات أهمية فائقة، ووضع حدا لامتناع رؤساء الحكومات المتعاقبة عن زيارة إفريقيا.

ما يقوم به نتنياهو في السنوات الأخيرة هو تغيير منهجي يهدف إلى إحداث تحول في الوضع الجيو إستراتيجي لإسرائيل. في تشرين الثاني ٢٠١٨، وخلال زيارته إلى تشاد، أطلق نتنياهو شعار «إسرائيل تعود إلى إفريقيا"، وأضاف بأن «إفريقيا تعود إلى إسرائيل». وكان قد سبق وأطلق مثل هذا التصريح في التاسع والعشرين من شباط ٢٠١٦ في اللقاء الاحتفالي بانطلاق اللوبي البرلماني الإسرائيلي لتوثيق العلاقات مع إفريقيا برئاسة عضو الكنيست الأثيوبي الأصل أبراهام ناغوسا، كما وأكد نتنياهو أن «الأمور تجري بخطوات كبرى». في حين أكد رئيس اللوبي أن الأرض في إفريقيا عالية الخصوبة ومن شأن استخدام التكنولوجيا الإسرائيلية أن يوفر الغذاء للقارة ويقضي على المجاعات. كما اعتمدت الدبلوماسية الإسرائيلية خطاب التحذير من «الإرهاب الاسلامي» -حسب أقوال نتنياهو- الذي يهدد إفريقيا وإسرائيل، في ذكر تنظيم «الشباب» (الصومال وشرق إفريقيا) و«بوكو حرام» (في غرب القارة)، إضافة إلى الخطاب القائل بتحالف «الشعوب التي انعتقت من الاستعمار».[١٠] اختراق آخر تمثّل بزيارة نتنياهو إلى ليبيريا في حزيران ٢٠١٧ ولقائه مع رؤساء اثنتي عشرة دولة إفريقية سارعت على أثرها الجامعة العربية للاجتماع في بحث هذا الوضع.[١١]

بُعد جديد لمفهوم القوة الناعمة

ينصبّ الاستثمار الأكبر لجهود إسرائيل الديبلوماسية في العقد الأخيرعلى إفريقيا، وهو مبني على الدبلوماسية النشطة بشقيها الناعمة؛ اي الدعم التنموي الشامل، والأمنية والعسكرية، وعلى شبكة واسعة من العلاقات طويلة الأمد ومتينة البنية، تكاد تشمل كل القارة، وعلى منظومة متعددة المجالات من التعاون الثنائي مع كل واحدة من هذه البلدان. كما وتسعى من خلال العلاقات الثنائية إلى زيادة نفوذها، سواء في بناء أحلاف إقليمية تكون هي المحورية فيها، أم في العمل على تحقيق قبولها بصفة عضوية مراقبة في الاتحاد الإفريقي.

لا تزال إستراتيجية تدخلها قائمة على الدبلوماسية الناعمة، لكنها لا تنحصر فيها، مقابل كل دولة إفريقية على حدة، بينما تمتلك إسرائيل الرؤية الشاملة لمجمل العلاقات الثنائية، ولا تخلو علاقتها مع أي من البلدان الإفريقية من العلاقة الأمنية والعسكرية الوثيقة، ومن بناء روافع للتأثير على السياسات فيها.

إلا أن الإستراتيجية الناعمة كمفهوم تشهد تحولا جوهريا، وبالذات بعد تفجيرات أيلول ٢٠٠١ في نيويورك وما تبعها من «الحرب على الإرهاب» والتي أصبحت تضاهي في السياسات الداخلية لكل بلد التنمية المستدامة أو شرطا لها، وهذه التنمية هي المساحة التي تطبّق فيها الإستراتيجيات الناعمة، لتغدو الحدود هلامية ما بين الديبلوماسية الناعمة والخشنة إن صح التعبير؛ أي بين التنموي والأمني، ولذلك نرى أن إسرائيل ركزت في العقدين الماضيين في علاقاتها بالدول الإفريقية على إسنادها في قضايا الأمن الداخلي، وميّزت ما بين الدعم العسكري والدعم الأمني، وبالذات مع علو شأن تكنولوجيا السايبر وأجهزة التعقب والرقابة الذكية الأكثر تطورا. ويكثر الحديث عن تزويد الدول الإفريقية بأجهزة وقدرات تحكم وتنصت من إنتاج شركة NSO.[١٢]

وإذ تعتمد إسرائيل إحدى عشرة سفارة في إفريقيا، فإن علاقاتها الدبلوماسية وثيقة مع الغالبية العظمى من دول القارة، ناهيك عن علاقتها مع جنوب إفريقيا في مرحلة الفصل العنصري، واشتهرت بالتعاون النووي وأسلحة الدمار الشامل، والتي تراجعت بعد التحرر من الأبرتهايد، وعادت العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية في العقدين الأخيرين لتستعيد زخمها، لكن العلاقة مع جنوب إفريقيا لن تكون ضمن موضوع هذا المقال، وذلك لطابعها الندّي الخاص.

من «شد الحزام»[13] إلى «الحزام والطريق»[14]

نجحت إسرائيل في إستراتيجية تحالف الأطراف أو شد الحزام، في شرق إفريقيا أولا بمحاصرة السودان ومصر واستنزافهما وتفتيت السودان من داخله، وتهميش دور مصر الريادي في إفريقيا والذي اعتبرته في الماضي تهديدا لأمنها القومي ولمجالها الحيوي، وقد سهلت عليها ذلك سياسات الرئيسين أنور السادات وحسني مبارك، والعزوف عن إفريقيا، كما استغلت سياسة

نجحت إسرائيل في إستراتيجية تحالف الأطراف أو شد الحزام، في شرق إفريقيا أولا بمحاصرة السودان ومصر واستنزافهما وتفتيت السودان من داخله، وتهميش دور مصر الريادي في إفريقيا والذي اعتبرته في الماضي تهديدا لأمنها القومي ولمجالها الحيوي، وقد سهلت عليها ذلك سياسات الرئيسين أنور السادات وحسني مبارك، والعزوف عن إفريقيا، كما استغلت سياسة الرئيس مرسي قصيرة العهد.

الرئيس مرسي قصيرة العهد في تهديده بالحرب على أثيوبيا، وهي تنتقل الآن نحو إقامة تحالف إفريقي في غرب القارة للدول المحاذية لبلدان المغرب العربي، وفي مركزه النيجر ونيجيريا اللتين تربطهما بها علاقات وثيقة عسكرية واقتصادية وفي مجال الثروات الطبيعية واستخراج المعادن. وإذ كانت الرؤية الإسرائيلية لذاتها بأن محفزاتها للتدخل هي أخلاقية وسياسية وأمنية تجاه كل دولة إفريقية، فالجديد في المرحلة الراهنة هو الانتقال إلى دفع الدول الإفريقية إلى اصطفافات وأحلاف إقليمية في إفريقيا، واعتبار هذه المنطقة حيوية وذات أولوية في خارطة مصالحها والسعي لإقامة حزام إسلامي إفريقي غير عربي حسب المفاهيم الإسرائيلية، وذلك ضمن ما تطلق عليه «محاربة الإرهاب العربي والإسلامي» المتمثل بحركات مثل بوكو حرام والقاعدة وداعش، على غرار حركة الشباب في الصومال.

وإذ ترى بالنفوذ الصيني والروسي في إفريقيا عوامل إيجابية، تنظر إسرائيل بقلق إلى تسارع ازدياد النفوذ التركي وتعتبره تهديدا، ناهيك عن النفوذ الإيراني الذي تعتبره عدائيا وتحاربه في كل موقع باعتباره يستهدفها حسب قولها. كما وترى بالحالة الليبية منطقة مصالح حيوية تؤثر على إفريقيا وتؤثر على مشاريع السيطرة على شرق المتوسط وسوق الغاز الطبيعي والنفط الليبي عالي الجودة. وهكذا فإن أهمية بناء هذا المحور ضمن الرؤية الإسرائيلية هي في كونه يشكل قاعدة متقدمة في الصراع على ليبيا والبحر المتوسط، كما أنه يتضمن التقاء مصالح إسرائيل مع حليفتها الجديدة (علنيّا) دولة الإمارات العربية المتحدة التي تقيم قاعدة عسكرية كبيرة في النيجر، ضمن صراعها مع تركيا في المسألة الليبية، إذ تدعم الإمارات كما إسرائيل الجنرال خليفة حفتر، في حين تدعم تركيا حكومة السراج المحسوبة على التيار الاخواني. في المقابل يشكل هذا المحور في غرب إفريقيا أيضا أداة ضغط على الموقف الفرنسي بشأن القضية الفلسطينية ولثنيها عن مبادرتها لإقامة دولة فلسطينية في حدود ١٩٦٧.

***

توسيع خارطة المصالح الإسرائيلية في إفريقيا وإستراتيجية الشراكات وتعدّد الاطراف

تحتل مسألة مياه النيل أهمية قصوى، فهناك أطماع إسرائيلية في هذه المياه، لكن بعدها الإستراتيجي أكبر، وكما يراه مؤسس كلية دراسة الأمن القومي في جامعة حيفا والمتخصص بالجغرافيا السكانية ارنون سوفير: "تقيم إسرائيل علاقات وثيقة للغاية مع كينيا، حيث تقع في أراضيها مصادر مصادر النيل، ومع أوغندا التي تقع في أراضيها أنابيب سد آوان، وأنها قد بنت سدودا في عدة بلدان إفريقية وباتت تتحكم أكثر في مجرى النيل.

كما سبق أن تبنت إسرائيل في الماضي وفي العقدين الأوليين لقيامها فكرة تحويل مجاري النيل إلى صحراء سيناء لإحيائها (أسوة بمشروع "إحياء البيداء» في النقب في أوائل الخمسينيات)، وعليه كانت قد أبدت اهتماما خاصا بسيناء، وسارعت بعد عدوان ١٩٦٧ ببناء المستعمرات في شمال الصحراء وحتى بناء مدينة ياميت، والتي هدمتها جميعها قبل انسحابها الذي أنجز بالكامل عام ١٩٨٢. إلا أن هذه المخططات لا تبدو عملية في المرحلة الراهنة.

تحذر إسرائيل من دور مصر، وكما يشير سوفير فإن إسرائيل معنية «بتوزيعة أكثر إنصافا لمياه النيل»، وهذا يعني زيادة حصة أثيوبيا منها، لكنها لا تريد

الدبلوماسية الإسرائيلية الناعمة: أكثر من عصفور بحجر.

العطش لمصر ولا المحل، لأن من شأن ذلك أن يرتد على إسرائيل بوصول قوى «إسلامية متطرفة» إلى سدة الحكم في مصر، وانتهاء العلاقات السلمية مع إسرائيل.[١٥]

لم تتوقف عند ذاك الحد الذي طرحه سوفير، بل تجاوزته إلى اتخاذ موقف واضح بمساندة أثيوبيا في مشروع سدّ النهضة، وفي تزويدها بمنظومات صاروخية واستخباراتية للتصدي لأي عمل عسكري مصري. كما وخلقت مصلحة لمصر في اعتماد دورها كوسيط، لكن مع اضطرارها إلى كشف موقفها الداعم لأثيوبيا، فقد فقدت من قوة هذا الدور ومن الرهان المصري عليه.

هناك بعد آخر لأهداف إسرائيل في البحر الأحمر وهو عمليا ترسيخ تقسيم العالم العربي إلى مناطق غير مترابطة، أشبه بجدار فصل بين العالم العربي وذاته. ويضاف إلى ذلك أنّ نجاح الإستراتيجية الإسرائيلية يعني امتداد خط التقسيم العربي من أقصى الشمال إلى اقصى الجنوب، ليصبح حاجزا طوليا مانعا للاتصال بين المشرق والمغرب العربي، والجنوب العربي والمسلم الإفريقي.[١٦]

كانت إسرائيل من الدول السباقة في العقد الأخير من القرن العشرين في ملء الفراغ والذي تركه انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية على إفريقيا بالمستويين الاقتصادي والعسكري، كما تعزز دورها نتيجة التراجع العربي في القارة. ويحمل تدخلها سمات الدول العظمى، وينعكس ذلك في أنها لا تحصر مساندتها في جهة واحدة، بل تقيم علاقات متزامنة مع مختلف الأطراف والقوى المعنية بها، داخل البلد الواحد، وبين أطراف الصراعات بين الدول.

تصنف إسرائيل خارطة مصالحها في إفريقيا على امتداد ثلاث مناطق، وهي: دول جنوب الصحراء الإفريقية (أو إفريقيا السوداء)، ودول شرق القارة وبالذات القرن الإفريقي، ودول شمال إفريقيا والتي تعتبرها جزءا من الشرق الأوسط والبلدان العربية ولا تقع ضمن دائرة إفريقيا في الخارجية الإسرائيلية. لكنها لا تغفل هذه المجموعة من الدول العربية وبالذات مصر، وتسعى إلى استغلال نفوذها وكونها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تربطها علاقات وثيقة مع كافة أطراف الصراع على مياه النيل، وذلك في مسعى لإتباع مصر لمصالحها، الأمر الذي يجد تعبيرا عنه فيه سياساتها تجاه أزمة سدّ النهضة الأثيوبي، وهناك من يدعو إلى تعميق أزمات مصر، إذ يوجد شبه إجماع إسرائيلي يرى في أزمات مصر فرصة لا تُفوّت. وهناك تصنيفات جديدة نسبيا وهي التعامل مع غرب إفريقيا كمنطقة مصالح حيوية مشتركة، لتغدو إسرائيل بعد تثبيت

بعد أن تجاوزت المركب الأهم في اختراق الطوق العربي وهدم بنيته، فإن مسعى إسرائيل الراهن هو التخلص من لبنة إضافية وهي قضية فلسطين باعتبارها قضية العرب المسنودة إفريقيا، سواء من خلال التطبيع العربي المتدحرج أم من خلال ابتعاد النظام العالمي عن أولوية القضية الفلسطينية، وهذا يتيح لها كسب المزيد من مقومات الهيمنة والنفوذ في المنطقة العربية وإفريقيا وما بينهما.

مواقعها في شرق إفريقيا لاعبا في منطقة غرب إفريقيا، ونقطة انطلاق متقدمة في هذه المنطقة المحاذية للمغرب العربي، وهي منطقة تتنافس فيها أيضا مع تركيا التي تسعى للسيطرة بدورها للهيمنة في شرق المتوسط وفي ليبيا، وكذلك شرقا في الصومال. وإلى التصادم في الأدوار مع فرنسا صاحبة النفوذ في غرب القارة.

لمضاعفة نفوذها في غرب إفريقيا، تقوم إسرائيل بالتعاون مع حليفتها الجديدة دولة الإمارات، ولهذا فإن ازدياد قوة هذه العلاقة (الإسرائيلية الإفريقية) يعود إلى استغلال النفوذ الاقتصادي الإماراتي في القارة، كما يذكر الخبير الإستراتيجي في جامعة إسطنبول، أوصمان كاغال يوشال، في مقال نشر على موقع وكالة الأناضول التركية، يتحدث فيه عن رغبة إسرائيل في تحقيق انفتاح على القارة الإفريقية من خلال دولة وسيطة، وهو «دور تلعبه الآن الإمارات».[١٧]

تسعى إسرائيل إلى الدفع بالبلدان الإفريقية للتعاطي مع التوترات العرقية والسياسية ضمن مسار مركزي هو "محاربة الإرهاب" واستقرار الحكم المركزي دون أي اعتبار لانتهاكاته للحقوق السياسية والعرقية، ولفساده، وهذا يدحض البعد «الاخلاقي» لتدخلها والذي تحدث عنه بوطيم، بل إن الأنظمة الدكتاتورية وجدت ملاذها في إسرائيل وإسنادها، والأنظمة التي صنفتها الولايات المتحدة ضمن قائمة الحكام الملاحقين في محكمة الجنايات الدولية لارتكابهم جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، دفعت بدولها لتكون أداة في لعبة المصالح الأميركية الإسرائيلية من أجل إنقاذ الحاكم.

تتجلى محاربة ما تطلق عليه إسرائيل «الإرهاب الإسلامي» في العلاقات مع النيجر، وهي من أكبر دول غرب إفريقيا المحاذية للمنطقة العربية. وفيها قواعد عسكرية فرنسية وبريطانية وإيطالية وألمانية وإماراتية (حديثة وأول قاعدة خليجية في إفريقيا) وفيها نفوذ استخباراتي وأمني إسرائيلي كبير. هدف الطليان المعلن هو منع هجرة الأفارقة إلى أوروبا عن طريق ليبيا وبوابتها الإفريقية النيجر، أما هدف الإمارات وبإسناد سعودي وضغط أميركي وإسرائيلي أيضا هو أن تساند هذه القاعدة الجوية والعسكرية الجنرال خليفة حفتر للسيطرة على جنوب ليبيا كجزء من السيطرة على البلاد. وللتذكير فإن حفتر مدعوم أيضا من إسرائيل سياسيا وعسكريا، بينما المخطط الإسرائيلي حسب د. أماني الطويل في مركز الأهرام هو السيطرة غير المباشرة على النفط ذي الجودة العالية في ليبيا، وفي خلق مصلحة أوروبية مع إسرائيل في وقف الهجرة إلى أوروبا من إفريقيا.

أما جنوب إفريقيا فهناك تصنيف خاص لهذه الدولة، وذلك نظرا للعلاقات الأمنية الإستراتيجية والنديّة مع نظام الأبرتهايد، وبالذات التعاون في المجال النووي. إنّ نشر وثائق من الأرشيف الجنوب إفريقي مؤخرا والذي يعود إلى مرحلة نظام الفصل العنصري، يكشف جوانب كثيرة من التعاون النووي وأسلحة الدمار الشامل البيولوجية المحكمة. وهذا موضوع لمقال منفرد. بينما في سياق هذا المقال فإن جنوب إفريقيا، الرئيسة الحالية للاتحاد الإفريقي، تميل إلى دعم موقف أثيوبيا في أزمة سد النهضة مع مصر والسودان، وفي هذا التقاء مع مصالح إسرائيل العليا.

تربط إسرائيل ما بين تدخلاتها الخارجية وإستراتيجياتها الكونية مع التهديدات من الداخل، وتقصد تهديدات من داخل المناطق التي تسيطر عليها؛ أي قطاع غزة والضفة الغربية، والحدود الشمالية مع لبنان والجبهة السورية، وفي هذا الصدد تعتبر دول شرق إفريقيا جبهة خلفية للحرب شبه المعلنة مع إيران.

وإذ تتمتع مصر وأريتريا بعلاقات متينة، ونوع من التحالف غير المعلن في مواجهة مخططات أثيوبيا، فإن أريتريا على علاقة قوية مع إسرائيل التي أقامت فيها قاعدة تجسس ومراقبة إضافة إلى قاعدة بحرية لصيانة الغواصات ألمانية الصنع، كون هذا البلد الإفريقي محاذياً لباب المندب، وتتمتع جزره غير المأهولة بموقع إستراتيجي كبير الشأن.

ورغم أولوية التعاون الأمني والعسكري تقوم سياسة إسرائيل على «القوة الناعمة» وعلى العلاقات الثنائية مع كل بلد إفريقي على حدة وترى فيه «المفتاح لكسب ود إفريقيا».

الجديد أيضا هو السعي للربط الوثيق بين مخططاتها الكونية والإفريقية حصريا، وبين التطورات والتحولات الداخلية فيها، وهذا ما سيجري التطرق له في مسألة العلاقة مع دولة الإمارات ومخطط تجاوز قناة السويس والبحر الأحمر والمخططات الداخلية في منطقة النقب.

بعد أن تجاوزت المركب الأهم في اختراق الطوق العربي وهدم بنيته، فإن مسعى إسرائيل الراهن هو التخلص من لبنة إضافية وهي قضية فلسطين باعتبارها قضية العرب المسنودة إفريقيا، سواء من خلال التطبيع العربي المتدحرج أم من خلال ابتعاد النظام العالمي عن أولوية القضية الفلسطينية، وهذا يتيح لها كسب المزيد من مقومات الهيمنة والنفوذ في المنطقة العربية وإفريقيا وما بينهما. ولهذا نشهد التحول الحاصل من سياسة إسرائيلية تلغي الأمم المتحدة وتعتبرها معادية تلقائيا إلى إدارة معركة لتغيير صبغتها إلى موالية لها، وهذا جهد إسرائيلي أميركي مشترك ومتواصل ومتكامل الأدوار.

دول جنوب الصحراء أو «إفريقيا السوداء»

يجري الحديث عن ٤٨ دولة في هذه المجموعة، تقيم أربعون منها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. وعشر دول تتبادل السفارات معها، وتؤكد الوكالة الإسرائيلية للتعاون الدولي (ماشاف MASHAV) جدوى الاستثمار في العلاقات مع إفريقيا، وترى أنه ينعكس في التصويت على القرارات المهمة في الأمم المتحدة. كما ترى هذه الوكالة أن كسب ود الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء من شأنه أن يضمن أغلبية مساندة لإسرائيل في الهيئة الأممية، وأن يضع حداً للمدّ الدبلوماسي الفلسطيني وإنجازاته التي حققها، ويحول دون استخدام آلية الشرعية الدولية للاعتراف بفلسطين دولة كاملة العضوية وتحت الاحتلال، ناهيك عن قيامها فعليا. وهذا يندرج أيضا في إستراتيجية فك الارتباط بين التهديدات المحلية والداخلية من جهة، والإقليمية والخارجية المحيطة من جهة أخرى، في عالم متعدد الجبهات. وترى إسرائيل بإفريقيا حلبة تمارس على أرضها صراعاتها الإقليمية والدولية مع التهديدات الخارجية.

يعتبر هذا التوجّه حديث العهد، إذ ترى باستمالة التأييد الإفريقي سندا في سعيها إلى التحرر من الاعتماد المطلق على الفيتو الأميركي في مجلس الأمن الدولي لمنع اتخاذ أي قرارات ذات صفة ملزمة، وتخوّفاتها في حينه من عدم استخدام الرئيس أوباما لحق النقض في مجلس الأمن فيما يتعلق بالاحتلال الإسرائيلي. كما يتضمن التوجّه المذكور، الكف عن سياسة اشتراط العلاقات مع دولة معينة بعدم تعاونها مع الفلسطينيين أو تأييدها لحقوقهم، بل اعتماد نهج «القوة الناعمة».

من الملاحظ أن إسرائيل الرسمية تراجعت عن الخطاب القائل بعبثية الأمم المتحدة، بل تنشط فيها وتسعى إلى وقف المدّ الديبلوماسي الفلسطيني، وإلى تغيير طابع التصويت في هيئاتها وضمانه إلى جانبها فيما لو صوتت معها هذه الدول الإفريقية أو امتنعت أو حتى غادر مندوبوها قاعة الاجتماع عند التصويت.[١٨]

إلا أن نهج تجاوز إمكانية فيتو أميركي افتراضي، لا

تمنعها ولا تمنع الولايات المتحدة من توفير غطاء القوة العظمى لتعزيز النفوذ الإسرائيلي في إفريقيا، وذلك باعتبار أن إسرائيل تمثل مصالح الولايات المتحدة المتطابقة وهي جزء من منظومة تنفيذها. ولا يزال مفتاح العلاقات لمعظم الدول الإفريقية مع واشنطن يمر من البوابة الإسرائيلية إذ تشترط ذلك واشنطن نفسها. في حين أن إدارة ترامب المنتهية وحصريا وزير خارجيته بومبيو ضغطت بشكل غير مسبوق على الدول الإفريقية ذات الشأن أن تعمق وتطبع علاقاتها مع إسرائيل كما الأمر مع النيجر والسودان ونيجيريا.

كما تبدي إسرائيل اهتمامها بالوزن الدبلوماسي المتصاعد لإفريقيا، وتخصيص مقعدين في مجلس الأمن الدولي، ومن شأن هذا التمثيل أن يحدث تغيرا جوهريا بمكانة إسرائيل مقابل المساعي لضعضعتها في المحافل الدولية.

من شأن اتفاقيات افراهام مع الإمارات والبحرين أن تفتح الطريق لتعاون إسرائيلي إفريقي أكبر إذ إن دولا عربية وقد تضاف إلى السودان، تقيم علاقات مع إسرائيل، وأن تعتبر نموذج السلم الاقتصادي ناجعا.

تعرض إسرائيل ذاتها في إفريقيا بأنها تملك ما تحتاجه إفريقيا لتطورها ونموّ اقتصاداتها ومجتمعاتها. في هذا الصدد تسويق حلم الأمن الغذائي والطاقة الخضراء وتوفير الغذاء والطاقة الكهربائية لـ٦٠٠ مليون إفريقي. ويؤكد اللوبي البرلماني في الكنيست للعلاقات مع إفريقيا بأنّ: «خصوبة الأرض الإفريقية وتطور التكنولوجيا الزراعية الإسرائيلية هما المفتاح».

إسرائيل ومجرى النيل والصراع على مياهه

تشكل إسرائيل لاعبا حاضرا في الصراع على مياه النيل، وكذلك في مسألة سد النهضة الأثيوبي، وبالذات صراع الأخيرة مع مصر. ولإسرائيل علاقات وثيقة ومتعددة المجالات مع كل الدول ذات الصلة، وتركّز بالأساس على العلاقات الثنائية مع كل بلد، وهذه إستراتيجية إسرائيلية ثابتة. كما أن مستوى التدخل الإسرائيلي يتصاعد، والحديث لا ينحصر في محور الصراع المذكور، وإنما لديها أطماع في مياه النيل كما تؤكد القراءة المصرية للدور الإسرائيلي (انظر/ي د. أماني الطويل.....).

لكن السياسة المصرية أيضا تعيش تناقضاتها وحالة من عدم الاستقرار الدبلوماسي بخلاف ما يعرف عن دبلوماسيتها الناجعة والمتطورة. وقد يكون ذلك نتاج أربعة عقود من الإهمال الكارثي للمدى الإفريقي؛ أي منذ اتفاقيات كامب ديفيد ١٩٧٨، ورؤية الرئيس الأسبق أنور السادات بأن «٩٩٪ من أوراق اللعب بأيدي الولايات المتحدة». أحد الأمثلة هو تأكيد المصادر الإسرائيلية أن مصر طلبت من إسرائيل التدخل لدى أثيوبيا، وتعزى زيارة سامح شكري وزير خارجية مصر إلى تل أبيب أيلول ٢٠١٦ إلى هذا السياق. لكن لاحقا يتبين أيضا أن إسرائيل قد زودت أثيوبيا بمضادات دفاعية متطورة لصد أي هجوم قد يقوم به الطيران المصري على سد النهضة لتدميره قبل ملئه وتشغيله. وتشير العديد من التحليلات المصرية إلى الأخطاء الكبرى التي ارتكبتها مصر، وتتهم نظام حسني مبارك بالقضاء على كل وزن لمصر في إفريقيا واعتمادها مبدأ المفاوضات على سد النهضة من موقع الضعف المكشوف مما يتهدد حصة مصر من مياه النيل.

إلا أن السياسة الإسرائيلية أكثر وضوحا وأقل اضطرابا من المصرية، كونها مؤسسة على موقع قوة. إذ إنها أقامت علاقات وروابط قوية مع مجمل دول حوض النيل وهي البلدان التي تنحدر أراضيها نحو مجرى النيل أو روافده التي تمده بالمياه، وهذه الدول هي تنزانيا وبوروندي ورواندا وكينيا والكونغو الديمقراطية وأوغندا وأثيوبيا وأريتريا والسودان ومصر.[١٩]

وإذ تتمتع مصر وأريتريا بعلاقات متينة ونوع من التحالف غير المعلن في مواجهة مخططات أثيوبيا، فإن أريتريا على علاقة قوية مع إسرائيل التي أقامت فيها قاعدة تجسس ومراقبة إضافة إلى قاعدة بحرية لصيانة الغواصات الإسرائيلية الألمانية الصنع، كون هذا البلد الإفريقي محاذياً لباب المندب وتتمتع جزره غير المأهولة بموقع إستراتيجي كبير الشأن.

إن الصراع على سدّ النهضة الأثيوبي يعزز وضعية إسرائيل على حساب الفلسطينيين. إذ وجدت في الصراع المصري الأثيوبي على مياه النيل فرصة لها، وذلك نتيجةً لعلاقات إسرائيل الوثيقة مع كل الأطراف، وكذلك إلى الأولويات المصرية الإستراتيجية. وتشير مصادر إسرائيلية في ٢٠١٦/٧/١٩ إلى أنه فور عودة نتنياهو من إفريقيا، وصل إلى تل ابيب وزير الخارجية المصري سامح شكري، للحديث عن وساطة إسرائيلية في حرب المياه المذكورة. وحسب المصدر

دفعت إسرائيل والولايات المتحدة للتقارب بين دول شرق إفريقيا ودول الخليج، ورغم تعزز مقومات تفوقها النسبي مقابل مصر، نظرت إسرائيل في حينه بقلق إلى عقد اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية، وإلى كون الاجتماع جاء تلبية لطلب فلسطيني جاء في أعقاب لقاء نتنياهو مع اثني عشر رئيسا إفريقيا، ونتيجة للتخوفات من إسقاطات تعزيز العلاقات الإسرائيلية الإفريقية على المسألة الفلسطينية.

ذاته، فإن التخوفات المصرية من بناء السد دفعت بالرئيس السيسي إلى التباعد مع فرنسا والتراجع عن تبني مبادرتها لحل القضية الفلسطينية، وإلى التقارب من روسيا وإلى توثيق التعاون مع إسرائيل. في حين إن الفلسطينيين هم الخاسرون الأساسيون في تلك الجولة، إذ إن مبادرة السلام الفرنسية لحل القضية الفلسطينية قد انهارت، ودخلت إسرائيل في دور الوسيط في صراعات حوض النيل.

يتعزز دور إسرائيل كوسيط وطرف متدخّل صاحب مصلحة. وهكذا حصل مثلا عشية مؤتمر دول حوض النيل والذي عقد في أوغندا ٢٠١٦. فحسب المصادر الإسرائيلية قام نتنياهو بلعب هذا الدور، وسبق ذلك قيامه بتمهيد الأرضية لهذه المهمة في زيارته في الفترة ذاتها إلى أوغندة، وفتح الطريق للمفاوضات بوساطة دولته، وأبدى حرصه لدى الأوغنديين على عدم المساس بمصالح مصر جراء بناء السد. يذكر في هذا السياق، ونظرا لحساسية العلاقات مع إفريقيا، فإن الجهة الإسرائيلية التي تعنى بها ليست وزارة الخارجية وإنما مكتب رئاسة الحكومة ورئيس جهاز الموساد الخاضع مباشرة لرئيس الحكومة.

تنطلق إسرائيل من أنّ إدراك الرئيس المصري لماهيّة علاقاتها مع دول القرن الإفريقي، ستجعله يطلب تدخلها لحماية مصالح مصر. وفي هذا السياق تعتبر «مشاكل مصر هي فرصتها» في فرض هيمنتها على الأخيرة ومن خلال حاجة مصر إليها. وحسب المصادر ذاتها فإن حاجة النظام المصري للعلاقة مع إسرائيل في سياق الصراع على سد النهضة، شكلت الأداة لإفشال المبادرة الفرنسية في ذلك العام حول القضية الفلسطينية. هذا الدور مقابل مصر يتعزز أيضا نتيجة لحاجة النظام المصري إلى الغاز الطبيعي الخاضع لإسرائيل.

في مسار آخر، رحبت إسرائيل الرسمية باتفاقية السلام بين أثيوبيا وأرتيريا ورأت فيها نقطة تحوّل وحدثا مفصليا من شأنه أن يغيّر قواعد اللعبة في منطقة البحر الأحمر ويؤثر على مجمل مجريات الأمور وخارطة الصراعات، وهو بمثابة منفذ لسياساتها، و"فرصة جيوسياسية تحقق فيها إسرائيل تنازلات من مصر»، وتضمن تعاظم دورها كدولة عظمى مقابل الأطراف المشتتة والمتصارعة.

لا تزال مصر تملك عددا من نقاط القوة في التصدي لاستهدافها من إسرائيل وحليفتها في القرن الإفريقي في مسألة سد النهضة، وترى أن الصراع الذي قد يفجر أثيوبيا من الداخل بين إقليم التجراي وبين النظام المركزي قد يكون له أثر مباشر على مجمل المشروع. وترى د. أماني الطويل مسؤولة ملف إفريقيا في مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية أن المخابرات المصرية هي الأكثر دراية بخارطة الصراعات الإثنية والعرقية والجهوية في منطقة القرن الإفريقي. كما وصرحت د. الطويل إنه: بجانب الحلول السياسية.. مصر تضغط بأساليب مختلفة ومتنوعة في الإقليم (التجراي أ.م.) على أثيوبيا، كما ولديها أوراق لعب في التعاون العسكري مع السودان ومع الصومال والتأثير على سياسة تنزانيا.[٢٠]

في المقابل تلتقي مصالح إسرائيل ومصر في ليبيا في دعم الجنرال حليفة حفتر مقابل حكومة السراج المحسوبة على الإخوان المسلمين والمسنودة من تركيا التي تسعى لبسط نفوذها في إفريقيا بعد البحر المتوسط.

هناك إجماع على إدراك الدولة المصرية لمجمل تفاصيل القرن الإفريقي وخرائطه السياسيّة والعِرقيّة والإثنيّة،[٢١] ولهذا كان إصرارها على التّركيز على المُفاوضات لأطولِ وقتٍ مُمكنٍ في التّعاطي مع أزمة سدّ النهضة، والابتعاد قدر الإمكان على الخِيار العسكريّ

باعتباره الخِيار الأخير.

بموازاة هذا الموقف، يوجد تخوّف إسرائيلي من أن تفجر هذه الصراعات الدول الإفريقية وذلك لطبيعتها ولكثرة اللاعبين الدوليين. وأن الصراع بين إقليم التجراي والحكومة الفدرالية في أثيوبيا قد يجزئ أثيوبيا، ويهدد إتمام بناء وتشغيل سدّ النهضة الذي تحوّل إلى نزاع إقليمي ودولي، قد يطيح بالمصالح الإسرائيلية كونها تساند حكومتي أثيوبيا وأريتريا ضد التجراي.

دفعت إسرائيل والولايات المتحدة للتقارب بين دول شرق إفريقيا ودول الخليج، ورغم تعزز مقوّمات تفوّقها النسبي مقابل مصر، نظرت إسرائيل في حينه بقلق إلى عقد اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية، وإلى كون الاجتماع جاء تلبية لطلب فلسطيني جاء في أعقاب لقاء نتنياهو مع اثني عشر رئيسا إفريقيا، ونتيجة للتخوفات من إسقاطات تعزيز العلاقات الإسرائيلية الإفريقية على المسألة الفلسطينية.

يعود هذا التردد في الموقف الإسرائيلي إلى وجود تيار في مجال الأمن القومي، يلحظ توترات باطنية غير معلنة بين مصر وإسرائيل، ويرى أن تعاظم قوة الجيش المصري في السنوات الأخيرة لا يعود إلى الاستعدادات لـ«حرب مياه» مع أثيوبيا، وإنما إلى اعتبارات مصرية ترى أن الملحق العسكري المرفق لاتفاقيات كامب ديفيد يشكّل عبئاً على مصر التي تسعى إلى تغيير أسس العلاقات بين البلدين، وحصرياً التخلص من الشروط المهينة المنصوص عليها فيه، المتعلقة بسيناء والتي لا تقبل إسرائيل بتغييرها.[٢٢]

نامت نواطير مصر عن ثعالبها... فزادت إسرائيل نفوذها

هناك اتجاه قوي في الأمن القومي الإسرائيلي يرى بأزمات مصر وضائقتها فرصة لإسرائيل، ومقابل ذلك يوجد تيار يرى أن أزمات مصر تشكل قلقا لإسرائيل وخطرا على مصالحها. وتسعى إسرائيل إلى اعتماد إستراتيجية متعددة الأوجه فنجدها تدعم أثيوبيا كما ذكر من قبل في مسألة سد النهضة، وفي ذلك إضعاف لمصر، في حين ترى إسرائيل بمصر شريكا في تقاسم الحدود الاقتصادية في البحر المتوسط، ومشاريع تصدير الغاز الطبيعي إلى أوروبا بشبكة أنابيب في أعماق البحر. لكن هناك شبه إجماع في المراكز السياسية الإسرائيلية بشأن ضرورة إضعاف دور مصر في إفريقيا والحفاظ عليه في البحر المتوسط، وهذا ما يبقي مصر في حال نجح، خاضعة للابتزاز والنفوذ الإسرائيلي.[٢٣]

تعدد أماني الطويل ثلاثة عوامل في تراجع العلاقات المصرية الإفريقية وحصريا المصرية الأثيوبية. وتعود بالذات إلى مرحلتي حكم الرئيسين أنور السادات وحسني مبارك، وأول هذه العوامل اتفاقية كامب ديفيد حيث تم إهمال الكتلة الإفريقية على المستوى العربي والمصري على اعتبار ان وظيفتها ككتلة تصويتية في المنظمات الدولية في إطار الصراع العربي الصهيوني قد انتهت، وتم الإعلان من قبل السادات أن ٩٩ بالمائة من أوراق اللعبة هي أميركية، فاستغلت إسرائيل علاقتها بالأفارقة ووطدت علاقتها بأثيوبيا دون ضغوط مصرية تذكر، أما العامل الثاني فهو تراجع الدور المصري في إفريقيا في عهد مبارك الذي «ممكن النظر إلى تجربته في الحكم كعملية دفع ذاتي بلا ملامح تجديدية من نظامي عبد الناصر والسادات»، ويتعلق العامل الثالث بمحاولة اغتيال مبارك في أديس أبابا، وقد أدارت مصر ظهرها إلى أثيوبيا بالتزامن مع صعود المشروع القومي الأثيوبي على يد مليس زيناوي عام ١٩٩٥، وافتقد البلدان القدرة على التفاعل الإيجابي، حتى أن اتفاقية ١٩٩٣ بين البلدين بشأن مجمل العلاقات ظلت جامدة دون حياة حتى تم اختراقها بالكامل عام ٢٠١١ ببناء سد النهضة دون أي تنسيق.[٢٤]

هناك مؤشرات أنه ابتداء من ٢٠١٣ شهدت التفاعلات المصرية في إفريقيا منهجا جديدا ومحاولة بلورة معادلة تعاون شاملة لكافة المجالات التنموية والاقتصادية، بما فيه مع أثيوبيا، لكن اختراق الحالة متعثر في النزاع حول سد النهضة. الذي يعتبر اليوم عنق الزجاجة في العلاقات. إن مستقبل العلاقات منوط بسد النهضة، وهنا تلعب إسرائيل دور الوسيط غير الحيادي، وإن احتاجت تؤجج الصراعات بما يخدم مصالحها. فمن ناحية تدعم موقف أثيوبيا وتمدها بالعتاد العسكري ومنظومات الصواريخ المتطورة «لحماية السد»، وفي المقابل تسعى للعب دور الوسيط القسري بعد ابتزاز الطرفين.

في كلمة لها في ندوة «الاتحاد الإفريقي على خطى الاتحاد الأوروبي.. فرص وتحديات» عقدت في القاهرة في شباط ٢٠١٩، حذرت مساعد وزير الخارجية المصري السفيرة «سعاد شلبي» من دور إسرائيلي

نمط التصويت في الأمم المتحدة: أولوية إسرائيلية في إفريقيا؟

متصاعد في القارة الإفريقية على حساب الأمن القومي المصري. ودعت إلى توثيق العلاقات مع أثيوبيا لأن «إسرائيل تعمل جاهدة في الوقت الحالي على تقسيم إفريقيا والتلاعب بدول حوض النيل لإخضاع مصر»، وهناك مؤشرات إلى تحولات في النهج المصري في ها الصدد وبالذات منذ ٢٠١٣.

بنية الإنجازات والنظرة إلى الأمام

من الصحيح تأكيد أن الانطلاقة الكبرى في العلاقات حدثت في فترة نتنياهو، إلا أن النظرة الأوسع تؤكد أن هذا الأمر ما كان ليتحقق لولا المراكمة طويلة الأمد منذ بدايات المشروع الصهيوني وعلاقته بإفريقيا ومرورا بقيام إسرائيل الدولة الفتية وعلاقاتها الإستراتيجية كما حددها بن غوريون وكما دأبت على ترسيخها غولدا مئير. كما يجدر الإشارة إلى أن العوامل الإسرائيلية الذاتية كانت غير كافية وحدها لتحقيق هذه الاختراقات والإنجازات، بل اعتمدت على عنصرين إضافيين، أولهما الضعف العربي وسهولة اختراقه وعزوف مصر عن ممارسة دورها الريادي في المدى الإفريقي، وثانيهما الدعم المطلق من الولايات المتحدة واعتماد إسرائيل لتقوم بأدوارها في إفريقيا والعمل من خلال بنية النفوذ الأميركية.

وفي نظرة مستقبلية، ترى إسرائيل أن تطورها العلمي، وفي صناعات السايبر والتكنولوجيا عالية التطور والذكاء الاصطناعي وحاجتها إلى الأسواق المدنية والأمنية المناسبة لفائض قوتها وقدراتها، كل ذلك يجعلها قادرة بل سبّاقة في بعض المناطق للاستفادة من البنية الكونية فائقة التطور، والقدرات التي تبنيها الصين ضمن مشروع الحزام والطريق. كما يتيح لها مواكبة التطورات العالمية في إعادة توزيع المناطق الحيوية أو تقاسمها والشراكة فيها. كما تستفيد من شبكة علاقاتها المتازة مع الدول الكبرى من ناحية، ومع الاقتصادات الكبرى النامية في آسيا وأميركا اللاتينية وإفريقيا.

كما أنها تواكب آفاق فتح أسواق للبضائع والخدمات المبنية على الأمن والتكنولوجيا العالية في مجال الزراعة والإنشاءات وهندسة المنشآت المائية الكبيرة.

تنطلق إسرائيل من أنّها تملك ما تحتاجه إفريقيا، وأنّ الأخيرة هي سوق هائلة، وهي تضم غالبية الاقتصادات النامية وفرصة اقتصادية غير مستغلة ينبغي الاستثمار بها والسعي إلى مضاعفة حجم التصدير إليها ثلاث مرات مقارنةً بما هو قائم اليوم. إذ توفّر هذه القارة سوقا متنامية ضمن اقتصادات تتعاظم بوتيرة سريعة وفيها سبعة من أول عشرة اقتصادات صاعدة في العالم تربطها علاقات وثيقة معها. كما ترى أن الطبقة الوسطى الإفريقية في اتساع متزايد، ولها حيز كبير في الاقتصاد والسياسة والثقافة، وهي مناصرة للتعاون معها.

تُعد زيارة نتنياهو لأوغندا في شباط ٢٠٢٠ ذات أهمية بالغة في سياق الترويج لصفقة القرن والبحث عن حلفاء جدد، وهو ما يتضح من خلال أمرين مهمين؛ أولهما حثّ أوغندة على فتح سفارة لها في القدس وتغيير نمط تصويتها في الأمم المتحدة. أمر شبيه حدث مع كينيا، لكن بضغط أميركي مباشر كما ذكرت وكالة أنباء الأناضول في ٢٢ أيلول ٢٠٢٠، إذ

تؤكد المعطيات أن الفرصة مؤاتية لتغيير نمط تصويت ست دول إفريقية في الهيئات الأمنية، والأمر منوط بدفع المصالح المشتركة لهذه البلدان وإسرائيل، وهي طوغو وراوندا وبوروندي وجنوب السودان والكاميرون وجمهورية الكونغو الديمقراطية.. ترى معظم هذه الدول أن إسرائيل تملك القدرة على «فتح البوابة» إلى واشنطن، ودفع مصالح هذه الدول لدى الإدارة الأميركية.

اشترطت الإدارة الأميركية على نيروبي، تطوير علاقاتها مع إسرائيل مقابل إبرام اتفاقية التجارة الحرة مع واشنطن. ونقلت عن صحيفة "ذي إيست أفريكان" أن واشنطن طلبت من نيروبي التعهد بعدم دعم أي من المبادرات الدولية الرامية لمقاطعة إسرائيل، والامتناع عن أي تحرك يلحق الضرر بمصالحها الاقتصادية.

تدعم هذه المعطيات وزارة الاستخبارات الإسرائيلية، وهي تعتمد فحص أثر السياسة الإسرائيلية والمجموعات المساندة لها في إفريقيا، وتتعاطى أيضا مع التحديات، ففي بحث معمق اعتمد على ١٥٠ مخزون معلومات كبيرا (بيج داتا) تبيّن أن نمط التصويت الإفريقي في الأمم المتحدة منذ ١٩٩٠ يشير إلى أن تصويت الدول الإفريقية هو تصويت كتلة قارية إفريقية جماعية مع الفلسطينيين وضد إسرائيل.[٢٥] ضمن التحديات، يؤكد البحث تعاظم دور كل من الصين وتركيا، وأن «تركيا وخلال العقد الأخير قد ضاعفت عدد ممثلياتها الرسمية في إفريقيا أربع مرات»، في حين أن الصين توسع بشكل هائل استثماراتها في القارة الإفريقية.

وتؤكد المعطيات أن الفرصة مؤاتية لتغيير نمط تصويت ست دول إفريقية في الهيئات الأمنية، والأمر منوط بدفع المصالح المشتركة لهذه البلدان وإسرائيل، وهي طوغو وراوندا وبوروندي وجنوب السودان والكاميرون وجمهورية الكونغو الديمقراطية. ويحث البحث إسرائيل على فتح الطريق أمام هذه البلدان للعلاقات مع واشنطن، وخدمة مصالحها هناك.

ترى معظم هذه الدول أن إسرائيل تملك القدرة على "فتح البوابة" إلى واشنطن، ودفع مصالح هذه الدول لدى الإدارة الأميركية. بينما تنصبّ جلّ الجهود الإسرائيلية على «تغيير نمط تصويت» هذه البلدان في هيئات الأمم المتحدة، إذ إن إسرائيل غير معنية بأن ترهن مصالحها وأولويات سياساتها للموقف الأميركي، كما أنها تسعى للتحرر من الضغط الأوروبي الديبلوماسي والاقتصادي، وإحراجها في قضايا مثل «منتوجات المستوطنات» ومخالفاتها للقانون الدولي بالمجمل. وقد استخدم النفوذ الأميركي الإسرائيلي التكاملي مؤخرا مع السودان ومقايضة شطبها من لائحة العقوبات الأميركية مقابل التطبيع مع إسرائيل ودفع تعويضات لعائلات أميركية كانت أفرادها قتلوا في السودان. وفي هذا إشارة إلى سهولة التعاطي مع الحكومات الفاسدة أو الدكتاتوريات البعيدة عن المساءلة من شعبها والمستعدة للعبث بخيرات بلدانها.

يؤكد تصويت دول شرق إفريقيا في هيئات الأمم المتحدة منذ ٢٠١٥ أن المنحى يميل صوب تحقيق الهدف الإسرائيلي من اتّباع إستراتيجية «القوة الناعمة» لكن الحازمة.

على سبيل المثال، تعتبر "ماشاف" أن رفض الطلب الفلسطيني للانضمام إلى هيئة البريد الدولية UPU هو ثمرة الإستراتيجية الناعمة، ودليل على جدوى الدبلوماسية النشطة في الهيئة الأممية. لقد دلّت نتائج التصويت التي نشرت بتاريخ ١٥ أيلول ٢٠١٩ على أن ٥٦ دولة فقط أيدت الطلب الفلسطيني، وعارضته سبع دول، في حين امتنعت أو لم تشارك في التصويت ١٢٩ دولة.

مؤثّرات أخرى

تهتم إسرائيل لضمان استمرارية أثرها على النخب بتنظيم ومساندة مجموعات ضغط ولوبي سياسي لصالحها، وتستغل «ماشاف» تلقي الآلاف من الأفارقة التأهيل والتدريبات المهنية في إسرائيل أو في مؤسساتها الإفريقية، لعملية دعاية قوية لصالحها كما تفعل

الـدول بشـكل عـام. لكـن المسـعى هنـا ليـس فقـط للتعرف عـلى إسرائيـل بـل لتأييـد سياسـاتها ورؤيتهـا الصهيونيـة والعـداء للفلسـطينيين والعـرب. وإذا ترعـى إسرائيـل عـددا كبـيرا مـن قـوى الضغـط واللوبـي في دول إفريقيـة، مثـل لوبـي السـلام في كينيـا ونيجيريـا، فقـد وجـدت لهـا حليفـا جديـدا مـن أتبـاع الكنيسـة الأنجليكانيـة في موزمبيـق ويدعـى «تنظيـم بيـت إيـل - مسـيحيون مـن موزمبيـق مـن أجـل إسرائيـل»،[٢٦] وهـو لوبـي عقائـدي دينـي يـرى بإسرائيـل تجسـيدا للخـلاص، وعقيدتـه أنّ موزمبيـق لا يمكنهـا «إنـكار حقيقـة وتاريـخ الإنسـانية»، لأن القـدس تاريخيـاً تخـص «شـعب إسرائيـل وليـس للمسـلمين أو العـرب»، وتـم التأكيـد عـلى أن المسـيحيين لديهـم «صلـة روحيـة بـالأرض المقدسـة». ومـن ثـم يجـب عـلى الحكومـة «العمـل لتكـون أفضـل صديـق لإسرائيـل»، وسـوف تزدهـر موزمبيـق وفقًـا لذلـك. ويقـدّر تعـداد هـذا التيـار بحـوالى ١٥,٥٪ مـن سـكان موزمبيـق البالـغ عددهـم ٢٤ مليـون نسـمة.[٢٧]

إسرائيل تعد ذاتها لأجندة إفريقيا ٢٠٦٣

أجنـدة ٢٠٦٣ هـو مـشروع قـارّي طمـوح يسـعى إلى إفريقيـا تنعـم بالازدهـار عـلى أسـاس النمـو الشـامل والتنميـة المسـتدامة، وإقامـة قـارة تتكامـل دولهـا وقدراتها وتتوحـد أهدافهـا عـلى أسـاس المثـل العليـا للوحـدة الإفريقيـة الشـاملة ورؤيـة النهضـة الإفريقيـة الركيـزة الأساسـية لهـذه الخطـة الطموحـة التـي ينشـدها الأفارقـة الذيـن عانـوا مـن الحـروب والاسـتعمار والفقـر والأمـراض.

تتضمـن وضـع خارطـة طريـق ورؤيـة تهـدف إلى تحقيـق الانطلاقـة المرجـوة لإفريقيـا مـن خـلال عـدد مـن البرامـج منهـا مـا يخـص البنيـة للتنميـة الشـاملة، التنميـة في مجـالات الزراعـة والصناعـة والتوظيـف وتمكـين الشـباب والمـرأة والاسـتفادة مـن الثـروات، وتعكسـها الإرادة الإفريقيـة لكـي تنعـم القـارة بالسـلم والأمـن، وتكـون ذات هويـة ثقافيـة قويـة وتـراث وقيـم وأخلاقيـات مشـتركة، تقـود شـعوبها للتنميـة بإطـلاق الطاقـات الكامنـة للمـرأة والشـباب، ولكـي تصبـح إفريقيـا لاعبـا وشريـكا عالميـا قويا نافـذ الإرادة عـلى المسـتوى الـدولي.

وضـع الاتحـاد الإفريقـي لغايـة بلـوغ الهـدف المنشـود خططـا لـكل عقـد مـن الزمـن، واعتـبر أن شـعار العقـد الحـالي ٢٠٢٠ -٢٠٢٩ هـو «إسـكات البنـادق» والانتقـال مـن حالـة النزاعـات والحـروب إلى الاسـتقرار السـياسي في القـارة وتحسـين طبيعـة الحكـم كأسـاس للتنميـة المسـتدامة القاريـة، ووضـع أسـس للتجـارة البينيـة؛ أي أولويـة للتجـارة بـين الـدول الإفريقيـة، وتتماشى هـذه الأهـداف مـع الرؤيـة المصريـة، في حـين تبـدو في جـزء منهـا تتعـارض مـع أسـلوب التدخـل الإسرائيـلي القائـم لحـدّ الآن عـلى اسـتغلال النزاعـات كفرصـة بـدلا مـن حلّهـا، خاصـة لـو أخذنـا بالحسـبان الـوزن الأسـاسي للصـادرات العسـكرية والأمنيـة الإسرائيليـة والتدريبـات في هـذا الصـدد.

"الحزام والطريق".. إفريقيا والإمارات وإسرائيل طريق التجارة الإسرائيلي الإماراتي في النقب

المرحلـة الرابعـة مـن العلاقـات - كمـا ذكـر آنفـا - مؤسسـة عـلى بنيـة الإنجـازات التـي تحققـت، هـي مـن ناحيـة السـعي للحصـول عـلى عضويـة دولـة مراقبـة في الاتحـاد الإفريقـي تضمـن التصويـت في الأمـم المتحـدة، وموقـع تأثيرعـلى سياسـات إفريقيـا وضمـان وظيفـة لإسرائيـل في المـشروع الطمـوح أجنـدة ٢٠٦٣. (أجنـدة إفريقيـة قاريـة طموحـة - مائـة عـام عـلى الاتحـاد الإفريقـي - سـابقا منظمـة الوحـدة الإفريقيـة)، ضمـن مفاهيـم التحالفـات التجاريـة والأمنيـة كمرحلـة متقدمـة عـن العلاقـات الثنائيـة التـي اتبعتهـا في المراحـل السـابقة، والأخـذ بالحسـبان أن التطـورات في إفريقيـا تجـري بالتزامن عـلى مسـتوى داخـلي في كل بلـد وعـلى المسـتوى القـاري الجماعـي، وأن إفريقيـا تنحـو نحـو الاسـتقرار السـياسي والتنميـة المسـتدامة وحـل النزاعـات التـي كانـت تسـتفيد منهـا إسرائيـل وتجيّرهـا في خدمـة مصالحهـا ومخططاتهـا. كمـا تأخـذ بالحسـبان متدخّـلا آخـر هائـل الأثـر هـو النفـوذ الصينـي في إفريقيـا. ويتعاظـم هـذا النفـوذ ضمـن مـشروع البنيـة التجاريـة الأضخـم في تاريـخ البشريـة، ألا وهـو مـشروع الحـزام والطريـق BRI أو مـا يطلـق عليـه طريـق الحريـر الجديـد. وهـو المسـعى إلى ربـط عواصـم ١٦٥ دولـة في العالـم في شـبكة مـن الموانـئ والطـرق البريـة.

تعـود أهميـة النقـب المتجـددة نظـرا للتحـولات في التجـارة العالميـة، ولوقوعـه عـلى مفـترق ثـلاث قـارات؛ إفريقيـا آسـيا وأوروبـا، وهـو منفـذ بـرّي قصـير للغايـة

يـؤدي إلى القارتـين الناميتـين، ومـن الممكـن أن يكـون النقـب عامـلا ضخمـا لمسـتقبل إسرائيـل الاقتصـادي، وهـو ليـس بحاجـة إلى قنـاة السـويس لأن لـه منفـذا مـن خـلال إيـلات عـلى البحـر الأحمـر يصـل شرق إفريقيـا والمحيـط الهنـدي، ولذلـك هنـاك إصرار إسرائيـلي عـلى ضمـان الملاحـة في خليـج العقبـة والدعـوة المسـتمرة لوجـود قـوة دوليـة متعـددة الجنسـيات لضمـان تأمـين حريـة الملاحـة في اتجاه مضيـق تـيران.[٢٨] ومـن اللافـت التشـابه بـين أهـداف مـشروع النقـب الإسرائيـلي الإماراتـي وبـين الأهـداف التـي أعلنهـا ولي العهـد السـعودي محمـد بـن سـلمان مـن إقامـة مدينـة نيـوم، وقـد يكـون هـذا التشـابه أساسـا للتكامـل بـين المشروعـين لكـن قـد يكـون أيضـا مصـدرا لـصراع جديـد واصطفافـات جديـدة تعكسـها حالـة التوتـر بـين ديبلوماسـيتي السـعودية والإمـارات.

وبنـاء على موقـع الجزيـرة نـت بتاريـخ ٢٠٢٠/١٠/٢٠ فقـد أعلنـت شركـة خطـوط الأنابيـب الإسرائيليـة «إي أيـه بـي سي» (EAPC)، أنهـا وقعـت اتفاقـا مبدئيـا للمسـاعدة في نقـل النفـط مـن الإمـارات إلى أوروبـا عـبر خـط أنابيـب يربـط مدينـة إيـلات المطلـة عـلى البحـر الأحمـر، وميناء عسـقلان عـلى سـاحل البحـر المتوسـط. وهـو نفسـه خـط الأنابيـب التريخـي الـذي تكتنفـه الكثـير مـن السريـة والـذي أقيـم بالتعـاون مـع إيـران في زمـن الشـاه محمـد بهلـوي، وجـرى اسـتخدامه أيضـا لمواجهـة الحصـار العربـي والمقاطعـة الإفريقيـة بعـد حـرب ١٩٧٣. والمتوقـع أن يزيـد الكميـات المنقولـة بعـشرات الملايـين مـن الأطنـان سـنويا»، وأن الإمـدادات النفطيـة والتبـادل التجـاري بـين القارتـين الأوروبيـة والآسـيوية عـبر هـذا المـشروع قـد تبـدأ في مطلـع ٢٠٢١.

خلاصة

علاقـة إسرائيـل بإفريقيـا هـي علاقـة متينـة ثابتـة وتتطـور نحـو آفـاق جديـدة.

بعـد تحقيـق الأهـداف الإسـتراتيجية، بلـورت إسرائيـل إسـتراتيجية تتـلاءم وأجنـدة إفريقيـا ٢٠٦٣ والتحـولات في التجـارة العالميـة.

تعتـبر إسرائيـل أن مصالحهـا العليـا هـي في منطقـة القـرن الإفريقـي، كمـا تـرى أن مصالحهـا في دول حـوض النيـل[٢٩] والسـيطرة عـلى منابـع النهـر وروافـده هـي مسـألة جيوإسـتراتيجية. وإذ نجحـت إسـتراتيجية إسرائيـل في بلـورة الطـوق الإفريقـي عـلى دول الطـوق العربـي، ومنـع تحـول البحـر الأحمـر إلى بحـيرة عربيـة، فإنهـا تنتقـل إلى التعـاون مـع حلفائهـا العـرب الجـدد وبالـذات دولـة الإمـارات سـواء في غـرب إفريقيـا أم في بنـاء طـرق تجـارة عالميـة تتجـاوز الحاجـة إلى قنـاة السـويس.

هنـاك علاقـة سـببية عكسـية بـين الوضـع العربـي وبالـذات المـصري والنفـوذ الإسرائيـلي في إفريقيـا.

تشـهد العلاقـات تحـوّلا كبـيرا وبدايـة النهايـة للعلاقـات المتّبعـة بعـد ان حققـت إسرائيـل أهدافهـا طـوال سـبعة عقـود، لتبـدأ مرحلـة الأحـلاف الإقليميـة ودمـج المصالـح الإسرائيليـة في أجنـدة إفريقيـا ٢٠٦٣ وطريـق الحريـر الجديـد العالمـي، بمـا في ذلـك اعتمادهـا مشروعهـا المشـترك مـع الإمـارات في فتـح ممـر للتجـارة العالميـة عـبر النقـب يتجـاوز قنـاة السـويس.

نشـأت أنظمـة جديـدة ونخـب جديـدة عـلى امتـداد القـارة الإفريقيـة أقـل التزامـا بمنـاصرة القضايـا العربيـة وقضيـة فلسـطين، وهـذا معطـى جديـد أمـام أي تحـرك عربـي في القـارّة.

إسرائيـل تعـود بقـوة إلى الأمـم المتحـدة وهيئاتهـا ذات الشـأن معتمـدة عـلى التحـولات السياسـية في القـارة الإفريقيـة.

الهوامش

١ أجندة إفريقيا ٢٠٦٣: مشروع قاري تكاملي إفريقي قائم على التنمية المستدامة القارية ضمن أهداف الامم المتحدة ٢٠٣٠، وعلى الاكتفاء الغذائي وعلى الحدود المفتوحة من خلال شبكة مواصلات فائقة السرعة عالية التطور تربط العواصم الإفريقية، وعلى جواز سفر إفريقي معتمد، وعلى اعتماد السوق الداخلية الإفريقية وتبادل السلع. وتأسيس جامعة إفريقية كبرى افتراضية رقمية تتيح المجال للدراسة العليا للشباب الإفريقي.
الرؤية والرسالة: إفريقيا متكاملة ومزدهرة وسلمية يقودها مواطنوها وتمثل قوة متقدمة على الساحة الدولية.
تنفذ على أساس عقود كل عشرة أعوام. شعار الاتحاد الإفريقي ل٢٠٢٠: إسكات البنادق – تهيئة الظروف المؤاتية لتنمية إفريقيا.
اتفاقية منطقة التجارة الحرة القارية.
توفير الاستقرار والوفرة الاقتصادية والتنمية الشاملة القارية.
قيم الأمن الجماعي وحقوق الإنسان والسلام والعدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة.
هوية إفريقية قارية متوارثة.

٢ أمير مخول، «إسرائيل والعودة لإفريقيا»، مركز التقدم العربي للسياسات، ٢٠٢٠/٢/٦
https//:www.arabprogress.org%/D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D98%A%D9%-84%D988%%

٣ أوس ياسين يعقوب: «أوجه التغلغل الصهيوني في القارة السمراء»، موقع دنيا الوطن، ٢١/١٠/٢٠١١
https://www.alwatanvoice.com/arabic/content/print/205948.html

٤ هرمان بوطيم، «التحولات في علاقات إسرائيل وإفريقيا»، عدكان إستراتيجي ٣/١٧ (٢٠١٤)، ص ٧٧-٨٨ (بالعبرية)
https://www.inss.org.il/he/wp-content/uploads/sites/2/systemfiles/%D791%%D795%%D798%%D799%%D79%D%20%D7%A2%D793%%D79%B%D79%F.pdf

٥ يارون سلمان، «العلاقات بين إسرائيل وشرق إفريقيا»، **عدكان إستراتيجي** ٢/٢٢ (٢٠١٩)، ص ٨٣-٩٤ (بالعبرية)
https://www.zefat.ac.il/media/3496/%D799%%D797%%D7%A1%D799-%%D799%%D7%A9%D7%A8%D790%%D79%C-

٦ حجاي ارليخ، المد والجزر في علاقات إسرائيل بإفريقيا- قراءة في كتاب اريه عوديد: إفريقيا وإسرائيل: الفرادة والتقلبات في العلاقات الخارجية الإسرائيلية»، كاتيدرا، ١٥٢ (٢٠١٤)، ص ٢١١-٢١٤ (بالعبرية)
https://www.ybz.org.il/_Uploads/dbsAttachedFiles/Haggai_Ehrlich_LR.pdf

٧ لدى إسرائيل سفارات في ١٢ دولة إفريقية من أصل ٥٤، هي: السنغال، مصر، أنغولا، غانا، ساحل العاج، إثيوبيا، أريتريا، جنوب إفريقيا، نيجيريا، كينيا، الكاميرون ورواندا.

٨ أمير مخول، إسرائيل والعودة لإفريقيا...

٩ حمدي عبد الرحمن، «إسرائيل وهجومها الناعم في إفريقيا»، موقع قراءات إفريقية، ٢٥/٢/٢٠٢٠
https://www.qiraatafrican.com/home/new/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D98%A%D984-%%D988%%D98%

١٠ أريك زيف ويزر، «إسرائيل تعود إلى إفريقيا، وإفريقيا تعود إلى إسرائيل»، موقع ليكودنك، ٢٩/٢/٢٠١٦
https://bit.ly/3kOHKHb

١١ أساف جيبور، «توتر في الدول العربية: بحث طوارئ في علاقات إسرائيل- إفريقيا». موقع
https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART2404/881/.html

١٢ اسمها الرسمي NSO Technology Groups تعملُ الشركة – حسب مجلس إدارتها – على تقديم «الدعم التكنولوجي» لحكومات العالم من أجلِ مساعدتهم على «محاربة الإرهاب والجريمة». في المُقابل اتهمت الشركة بتصميم وتطوير برامج تُستخدم في عمليات الاختراق والتجسّس على المعارضة السياسية وعلى مجمل الحركة السياسية وعلى نشطاء حقوق الإنسان والصحافيين، في العديد من البلدان.

١٣ شد الحزام هي الإستراتيجية التي اعتمدها بن غوريون عام ١٩٥٣ والتي يطلق عليها تحالف الأطراف أو الضواحي، والتي شكلت إستراتيجية للتخلص من الطوق العربي المفروض على دولة إسرائيل وهو طوق من دول إفريقية غير عربية وغير مسلمة تحاذي دول شمال إفريقيا العربية من الجنوب. فمن الشرق تشمل دول القرن الإفريقي غير العربي وغير المسلم، ومن الغرب تشمل دول النيجر المسلمة وغير العربية.

١٤ الحزام والطريق أو طريق الحرير الجديد، وهو أضخم مشروع تجارة دولية في تاريخ البشرية، تستثمر الصين في بنيته العالمية مقدار ١,٢ تريليون دولار، مقابل استثمار الدول المنضوية في تأهيل بنيتها التحتية. حاليا الاستثمار الصيني الأكبر هو في القارة الإفريقية. الحزام فيه إشارة إلى الممرات البرية للتجارة العالمية والطريق إلى الممرات البحرية في إشارة إلى ربط موانئ العالم وعواصمه بشبكة واحدة.
http://www.xinhuanet.com/silkroad/arabic/index.htm

١٥ أرنون سوفير، **الصراع على المياه في الشرق الأوسط**، (رعنانا: عام عوفيد، ٢٠٠٦)،٨٣ (بالعبرية)

١٦ رائد حسنين، **السياسة الإسرائيلية في القرن الإفريقي: وأثرها على الأمن القومي العربي (حالة أريتريا) نموذجا**، (القاهرة: دار ابن رشد، ٢٠١٧)
https://www.nli.org.il/ar/bo/NNL_ALEPH004053561/NLI

١٧ ممدوح مبروك، «الغزو الإسرائيلي لغرب إفريقيا»، موقع الشروق، ٣/١٠/٢٠١٩
»https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=03102019&id=2a94e1a7-2d5b-4f22-84d0-56f37f35ebdf

١٨ مقابلة مع عضو الكنيست الإسرائيلي أبراهام نغوسا: https://www.davar1.co.il/99581/

١٩ إبراهيم يسري، «مياه النيل» موقع الشروق، ٢٢/٥/٢٠١٣.
https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=22052013&id=e36517a14-dfc-478694-b9-87398be80f03

٢٠ مقابلة مع د. أماني الطويل، خبيرة الشؤون الإفريقية بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، على قناة MBC
https://www.youtube.com/watch?v=X15Wx7-kJvM

٢١ أماني الطويل، «العلاقات المصرية الأثيوبية بين المحددات وتداعيات سد النهضة»، مركز فاروس للدراسات، ٢٣/٨/٢٠٢٠
https://pharostudies.com/?p=5253

سد النهضة»، مركز فاروس للدراسات، ٢٣/٨/٢٠٢٠
https://pharostudies.com/?p=5253

23 https://jiss.org.il/he/lerman-egypts-strategic-difficulties/

٢٤ أماني الطويل، العلاقات المصرية الأثيوبية بين المحددات وتداعيات سدّ النهضة٢٣/٨/٢٠٢٠ مركز فاروس البحثي المتخصص بالشؤون الإفريقية
https://pharostudies.com/?p=5253

٢٥ عيران ليرمان، الضائقات الإستراتيجية لمصر: معانيها بالنسبة لإسرائيل»، موقع JISS، ١٧/٦/٢٠٢٠
https://www.israelhayom.co.il/article/820285

٢٦ عن "تنظيم بيت إيل - مسيحيون من موزمبيق من أجل إسرائيل»، انظروا
https://www.sajr.co.za/news-and-articles/201702/02//israel-has-true-christian-friends-in-mozambique

٢٧ معلومات عن موزمبيق:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/countries/201217/1//%D985%%D988%%D8%B2%D985%%D8%A8%D98%A%D982%

٢٨ أحمد تهامي عبد الحق، **الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر ومنابع النيل- الثوابت والمستجدات**، (القاهرة: دراسات إستراتيجية ومستقبلية، ٢٠٠٦)٢٩ دول حوض النيل هي مجموع البلدان العشرة التي تنحدر أراضيها نحو مجرى النيل أو روافده وتبلغ مساحتها ٩٤١٧٧١٨كم؛ مربع أي ثلث مساحة إفريقيا.